

« قالوا للحن (كاللعن) سنة معان : الخطأ في الاعراب ، واللغة ، والفناء ، والقطنة ، والتعريف ، والمعنى » — اللسان .

تضييف إلى معنى الفناء هنا قوله « لحن تلحينا في قرائته : طرب تطريبا وترنما » . والظاهر أنه كان يطلق كذلك على كل صوت منفوم كما هي الحال عندنا اليوم ، فمن هنا فيما نتوه نشا (النحل) لأن لطيرانه طنينا ونفنا ، واحدته : النحلة .

اللحن :

ومن (لكن) كذلك نشا اللحن والتلقين بمعنى الفهم والتقدير . واللحن واللقنة واللقانة واللقانية (كالعلانية) : سرعة الفهم والقطنة (وهذه كما رأينا من معانى اللحن الستة) .

والمتأخرون يستعملون (التلقين) بمعنى التعليم وتحفيظ الكلام أو طلب ترفيذه بعد اللحن . من ذلك (اللحن) في المسرح يساعد الممثلين بالفاظ أدوارهم كلما نسي أحدهم شيئا منها . ومن ذلك أيضا تلقينك محضرا الشهادتين وغيرهما من الأدعية ، أى تتوهك بهما ليزدهما المحتضر بعده . لكن لا اثر لهذا المعنى في المجمع العربي . فهل وجده المعجميون واعتبروه مولدا فلم يأخذوا به ، أم أنه ظهر متاخرًا بعد عهد التعجم (= جمع الماجم) ؟ كذلك يقول معاصرتنا لقنته درسا : انتقمت منه أو عاقبته وجعلته عبرة لنفسه .

اللعن :

أما هذا فيظهر أنه إنما نجم من معنى سلاطة اللسان في (اللسان) آثنا . قالوا « فلان يتلاعن علينا : إذا كان يتماجن ولا يرتدع عن سوء ويفعل ما يستحق به اللعن » .

ثم صار اللعن يعني : السب ، والطرد من الخير . ثم صار التلعين : التعذيب .

اللسن :

جمعوا اللسان على : السنة ، والسن (بضم السنين) ، ولسن (بضمتين) ، ولساتات .

معنى الملك إلى البشر . يقول المعجم أن « المالك والمليك والملك (بكسر اللام أو سكونه) : صاحب الملك والرئيس الحاكم للامة » . أى أن المعنى صار إلى التملك والسلطة ، لكن معنى الإلهية لم يذهب عن الكلمة فان كلا من المالك والملك من الأسماء الحسنى ؛ وقد عبدتا (بالتشديد ، وعلى المجهولة) في التسمية فقبل عبد الملك وعبد المالك . والأية « مالك يوم الدين » يقرأها نافع أحد السبعة وبقراءته يأخذ أهل المغرب « ملك يوم الدين » — ما يدل على أن الكلمتين كانتا سواء عند العرب .

وقد صيغ الفعل ملكت شيئاً تملكه ملكاً (كضربه ضرباً ، وللمصدر صور أخرى) : كنت حائزًا له ومتقنياً (حسب تعريفنا ، اختصاراً لتعريف المعجم) وعلى المجاز قالوا ملك فلان نفسه وتمالكتها : ضبطها وسيطر عليها عند غصب أو شهوة . والملكة (بالتحريك) : الملك . وصارت عند المحدثين تعنى الموهبة والحق الفطري في علم أو من .

ومن معنى الحيازة والسلطان صار المكوت : الملك العظيم ، ثم العز والسلطان . . وصار في التعبير الدينى يعني ملك الله ، أى السموات والإرض .

اللكنة :

ومن مشتقات اللسان : (اللسان) — كالرسن : الفصاحة ، وسلامة اللسان . واللسون : الكذاب . أما لكن يكن لكنا (كفرح فرحا) ولكنة (لفقة) ولكونة (كعقوبة) ولكونة (كأعجوبة) فتعنى : على ونقل لسانه ، أو كان لا يقيم العربية لعجمة في لسانه .

اللحن :

ومن (لكن) هذه ظهر (اللحن) — كاللبن : اللغة أى كاللسان) أو القطنة (أى كاللحن ، الذى سيأتي حدثه بعد) .

وقالوا لحن (كضرب) فلان : تكلم بلغته ، وهذا المعنى قريب من (لسن) من جهة ، وشبيه بـ (لكن) من جهة أخرى لأن المقصود أن التكلم غير عربي . واللكنة (بالضم) : التكلم بالعربية بلهجتها فيها عجمة ، واللحن : تكلم المرأة بلغته (الأعجمية) .

ودليل على كثرة استعمال السن في المجاز والاستعارة تذكر أنها اطلقت كذلك على شعبة المجل والواحدة من شعب المشط وتنوعات المثار ونحوها ، وعلى الحبة من رأس الثوم ، وعلى مكان البرى من القلم (أى أسلته) ، وعلى حرف فقار الظهر .

والسنة (كالحبة) : الفهدة ، ربما من معنى النعش بأسنانها ، ثم اطلقت على الديبة من باب الخلط التطوري ، بعد ذلك فيما يظهر . وما أكثر ما استعملوا أسماء واحداً لأكثر من حيوان ، بل لعدة حيوانات في بعض الأحيان .

أما السنة (كالسكة) فهي : الفأس لها حدان ، ربما من معنى ظهور الأسنان شفعاً شفعاً في البداية ، فاستعاروا الواحدة منها لتدل على حدى الفأس المزدوجة كلديهما .

السنة :

ومن السن أو أحدي صيغها نشأت صيغة السنة (كالشنة) . ومن تقدير عمر الدواب بالسنوات عند فحص أسنانها اكتسبت (السنة) معنى الجول أى دورة العام .

وتنطق السنة بالبابلية (شتى) ومنها (ريش شتى — resh shatti) : رأس السنة . ولا بد أن أثلياً قد كان (شتى) ثم أدمغوا النون في التاء .

وجمعوا السنة على : سنوات وسنوات وسنون (بالكسر) وسنون (بالضم) . ونظن هذا أثيل السنونو (بالضم) وهو ظاهر موسم يظهر (سنونياً) في صيف المناطق المعتدلة .

وتشعبت الصيغ فقالوا أنسى القوم في موضع ، يسنون أنساء : ليثوا فيه سنة .

لكنهم إذا ذكروا السنة مطلقة قصدوا بها الإرثمة أو السنة الجديدة ، في مثل قولهم : أصابتهم السنة . وهو دليل على أنه منها نشأ الأسنان (كالاحسان) ، فكما قالوا أنسنوا يسنون (كأنمسوا يمسون) قالوا أنسنوا يسنون أنساناً فهم مسنون : أصابهم سن (بالهاء ، لا بالتاء) وقطط واجدبوا . وهذا منشأ قولهم المستنة (المحسنة) والستنة (كالشرسة) :

ثم قدر الله أن يسقط اللام عن أحدي هذه الصيغ أو أحدي صيغ أخرى منقرضة — حين استقلوا ان يقولوا : الالسنة والالسن واللسن .. فقالوا السن (زنة الجن) . ثم كان أن تخصمت هذه الصيغة بهذا العظم الصغير النابت في الفك . وجمع السن : أسنان وأسنة (كجمع السنان !) وأسن (كجمع الكف على اكف) .

والتسمية جاءت فيما نظن عن طريق العقرب فالمعنى . ذلك بأنهم قالوا : لسننته العقرب الآفة الذكر ، بمعنى لدغته كما رأينا ، ثم قالوا : لسننته الحية ، بنفس المعنى . وابدال النون باءاً له في العربية اثناءه وأن كانت قليلة ، منها تحب عليه : تحنن ، وبث خيراً : نثه .

والحياة لا تلدغ بذنبها كالعقارب بل بنابها أى بسنها ، فمن أجل هذا انتقل معنى اللدغة إلى العضة ، قالوا سن فلاناً يسن سناً (زنه شده يشده شداً) بمعنى : عضه بأسنانه أولاً ، ثم بمعنى طعنه بالأسنان ، استعارة ، أى أن سنان الرمح هذا هو الذي نجم من سن بني آدم والعياذ بالله ، لا العكس . وإن كان بهذا التخريح قد برأنا أخانا الحيوان ضمنا ، فلاناً نتوهم أن التسمية جاءت من أول عضة تتلقاها الأم الرؤوم من رضيعها الناكر للجميل حين يستمتع بتجربة سنيه الجديدين في عرض حلقة الثدي الذي سقاهم مادة الحياة .

ومن رهافة السن ومضائقها — ولعلها سن الرضيع أيضاً — جاء قولهم سن سكيناً : شحذه واحدة ، أى جعله حاداً ماضياً كالمسن ! ثم قيل سن رمحاً وسننته وأسنـه (وكلها بالتشديد) : ركب فيه سناناً .. وأصل المعنى : ركب فيه سناً ! .

وكانوا وما زالوا يقدرون أعمار بعض حيواناتهم بفحص أسنانها . ومن هنا صارت السن — وهي مؤئنة — تعنى العمر نفسه . يقال : كم سنك .. أى عمرك ؟ وقد أجاب أحد الملحقين : انتنان وثلاثون ! يعني عدد أسنانه . فقال السائل : ما سنك ؟ .. فأجيب : عظم ! .. في حكاية مشهورة .

ثم ان العرب قالت أنسن رجل : شاخ ، بعد ان قالوا أنسن صبي : ثبتت أسنانه .

الدين النسبيه . وهي تنطق في الفارسية (نسيه)
— زنة نسبة — بمعنى البيع بالدين .

وناتي الى (النسو) — كالنحو — فمن قولهم
(نسا ينسا نسا) بالهزة ، ظهر (نسا ينسو نسا)
بتخيفها : ترك عمله . و النساء ينسوه شيئاً : امره
بتركه .

اما جموع المرأة : النسوة والنساء والنسوان :
فهي لنريا اي تأثيليا من باب (الناس والانسان) ، ولو
ان المجبين يدرجونها بدون مناسبة في باب (النسو)
هنا . خدعهم هذا الواو في اللفظ دون ان يعيروا المعنى
التقانا .

ومن قولهم آتنا (انساه شيئاً) : امره بتركه ،
او من صيغة مماثلة صار قولهم (انساه شيئاً) يعني :
جعله ينساه — والفرق ان هذه الاخيره مدرجة في مادة
(ن س ي) ، بينما الاولى في مادة (ن س و) . وبتعبير
آخر انه لما كانت (نسا ينسو نسا) تعنى :
ترك عمله ، صارت نسى (كثrog) نسيا ونسيانا ونسانية
(كبنائية) ونسوة (كندوة) ونساوة (كعداوة وعلاوة) :
ضد تذكره . (واذا طلبت في المعجم تذكرت شيئاً ،
قال لك : ضد نسيته) : لهذا نقول للقاريء في تعريف
النسيان ولو انه لا يحتاج الى تعريفه انه : غياب
الشيء عن البال .

ونذكر على سبيل الترقيه عن قارئنا العزيز جداً ،
والتحذيف من جهة الموضوع ، قول احد الظرفاء
العربيين ، في النسيان — ولا اعرف اسمه — لانى
(نسيته) :

تدبلغ النسيان بى انه
لم يبق لى بالا ولا حسا
نصرت اما عرضت حاجة
تهمنى اودعتها الطرسا
وصرت انسى الطرس في راحتى
وصرت انسى انسى انسى انسى !

اثنان :

لا بد أن بعض العرب نطقوا السن بالثناء ، وكانوا
عندهم — في عهد لغوی سحیق — یجمعون بالالف

الارض لم يصبها مطر ، ثم قولهم رجل سنت (كثرس)
تليل الخير .

« واصل السنة سنها بوزن جبهة فحذفت لامها
ونقلت حركتها الى التون فبقيت سنة لانها من سنها
النخلة وتسته اذا لقى عليها السنون . قال ابن
الاثيم : وقيل اصلها سنة (كصحوة) بالواو فحذفت
كما حذفت الهاء لقولهم تسته اذا اقيمت عنده
سنة » — اللسان ، مادة (س ن ه) .

يرى قارئنا الكريم من هذا وامثاله ان الاقديمين
كثروا ما تناولوا المعايير والانماط وحاولوا معرفة نشوء
بعضها من بعض لكتهم في حالات غير قليلة عكسوا
الامر فخلوا البرع اصلاً والاصل فرعاً ، كما
يتعلمون هنا .

ثم قالوا سائى فلانا مساناة وسناء (كسلاما) :
استاجره او عامله لسنة .

ونطقو السنوات (سنها) كما تقدم ، كما
نطقو المساناة (مسانه) بمعناها الانف . والفعل
سنة يسنه سنها (كفتح فتحا) : مرت عليه سنون .
وسنة طعام او شراب : تغير (وهذا من باب المبالغة
كأنما مرت عليه سنها) .

وسائتها رجال : عاملته بالسنة . والنخلة سائتها :
حملت سنة بعد سنة .

لكن مادة (س ن ه) ايضا لم تخلي من معنى
الجذب فنالوا السناء من النخل : التي اصابتها السنة
المجيبة ، او التي تحمل سنة ولا تحمل اخرى .

النسيان :

من السنة والمساناة ظهر النساء (كالسماء) :
طول العمر .. وواضح ان المقصود كان كثرة (السنين) .
اما النساء (كالنشء) فمعناه : التأخير يكون في
العمر او في الدين ، والنساء (كالنشاء) والنسبية
(كالبريئة) : التأخير والتاجيل . ومن ذلك جاء قولهم
نسئت المرأة : تأخر حيسها .

ومن معنى التأخير والتاجيل قالوا انساته الدين
او البيع : اخرته ، اي جعلته مؤجلاً . واسم ذلك

١٥ اللسان

وعلى هذا كان من جملة تفسيراته الآية « انك
بالواد المقدس طوى » ، قوله ان المقصود هو الوادي
المقدس مرتين .

نجد (طوى) بنصها (two) في السكسونية بمعنى الاثنين أيضاً . وقريب منها النطق الإيطالي (دو - due) وقد انجلست الكلمة شيئاً في (دو - du) بالفارسية والسنكريتية ، ولا نعلم كيف كانت تنطق فيما أول أمرها . لكننا نجد من آثار الانجلوس صيغة (deux) الفرنسية التي يثبتون فيها الحرف الأخير كتابة ويحذفونه تماماً ، ويدمجون الحرفين الثاني والثالث في حركة مديدة واحدة .

الانشى :

تعرض لنا في طريقتنا (تقليلية) لغوية غريبة ..
هي أن صيغة (الاثنين) - ثنائية الثنئي - تعنى شيئاً
خاصاً بالذكر اي غدتي، الذكوره ..

الانثى ، يقول المجمع انها خلاف الذكر ، واذا
رجعنا الى الذكر قال لنا انه خلاف الانثى ! فاذا لم
نكن نعرف احد النتبضيين سلنا في هذا واثناله كالنور
والظلماء ، والليل والنهر ، والتريب والبعيد ، والقوى
والضعف .. فقد ضعنـا .

مهما يكن فما من أحد يجهل أن الانثى هي الجنس الذي يجل ويلد من الحيوان ويزهر نيشر من النبات ، وإن الذكر هو الجنس الذي يلقع ويترن المقادير تجري في اعنتها .

الاثني من أين نشأت؟ وما علاقتها الإيجابية أو السلبية بالاتثنين؟

يقول المعجم ان الاثنين : مثنى الاثنى . الخميتان ،
الاذنان . واثبا الفرس : ريلتا فخذبها ، والاثنان من
احياء العرب : بجilla (كتبيلة) وقضاعة .

والثون (✿) ، فجاء جمع السنـ (ثـانـ) بـدـلـ (ـسـنـانـ) وـ (ـالـثـنـةـ) بـدـلـ (ـالـسـنـةـ) — بالـكـسـرـ ، وبعد شـيـءـ منـ التـحـوـيـرـ التـطـوـرـيـ نـجـمـتـ (ـالـثـنـيـةـ) زـنـةـ الـهـمـيـةـ : واحدـةـ الشـنـيـاـ ، وهـىـ الـاسـنـانـ الـأـرـبـعـ فـيـ مـقـدـمـ الـفـمـ ، (ـثـنـانـ) منـ أـعـلـىـ وـ (ـثـنـانـ) منـ أـسـفـلـ .

هذا يفسر لنا كيف صارت (الثنتان) تعنى العدد
الذى بين الواحد والثلاثة ، اي ضعف الواحد — لأن
هذه (الثانيا) الاربع تبعت (اثنتين اثنين) . ثم انبعثت
صيغة المذكر (اثنان) التى تشبه جمّع السن على
اسنان .

وسرعان ما صاغوا بعد ذلك الفعل : ثني يثنى
(كجئي يجئي) شيئاً : « طواه أو عطه » – أى طوى
الثوب مثلاً وعطف الفصن وثناء (بالتشديد) ثنتين :
جعله اثنين . وصارت : (اثناء) الشيء و (ثناء) :
تضاعيفه ومطاويعه ، و (اثناء) الحياة : مطاويعها اذا
(شتت) .

والثنيان (كالبنيان) : « الرجل بعد السيد » ، اي الثاني في الرياسة » ، او بتعبير آخر : الذى يلى الرئيس ويحل محله اذا غاب . ونحن اليوم بحاجة الى احياء هذه الكلمة في عربتنا المعاصرة .

ان فعل (طوى طيا) مرادف لفعل (ثني ثنيا) وقد جعل العرب مكليهما علاقة بالعدد (اثنين) لكن بطريقة متعاكسة . ذلك ان (الثنى) نشأ من (الاثنين) ، في حين ان (الطى) منه نشا (الطوى) — زنة المدى — بمعنى التثنية ايضا . اللسان : « واذا كان طوى وطوى (بضم الاول او كسره ثم فتحة متونة) هو الشيء المطوى مرتين فهو صيغة بمنزلة ثنى وثنى (بالضم او الكسر كذلك) » ، كما قال الشاعر :

إِنْ جَنْبَ بَكْرٍ قَطْعَتْنِي مُلَامَةً ؟
لَعْمَرِي لَقَدْ كَانَتْ مُلَامَتْهَا ثَنَى

وقال عدى بن زيد:

اعائل ان اللوم في غير كنهه
على طوى من غير المتردد »

* يراجع كلامنا عن «التنمية والجمع» في كتابنا «مغامرات لغوية» و «اللسان العربي» — المدد 5 غشت 1967.

لكن لماذا اختارت الكلمة (الأنثى) بالمرأة دون الرجل ما دام الانثان - الزوجان - رجلاً وامرأة؟ واضح للمرة الثالثة أن السبب قد كان نحوياً، قبل ظهور علم النحو يقررون نجاح تعدادها. ذلك أنهم عند ما أفردوها (الاثنين) جاء المفرد بيدهم (الأنثى) وهي صيغة تائين كالحبل، فاختارت من أجل ذلك بالمرأة. وجعموا الأنثى على: ائـاث وـانـثـ (كسـفـ) وـانـاثـ (ـكـبـالـ) .

واستخرجت من (الأنثى) اشتقاتات تدل كلها على الرقة واللين. قالوا هذه امرأة ائـاثـ: إذا مدحت بأنها كاملة من النساء. والمؤنـثـ: الرجل المشبه بالمرأة في لينه وتكسر أعضائه. وـانـثـ تائـنـاـ: جعله مؤنـثـاـ أو عـدـهـ اـئـاثــ أوـ خـثــ (بالتشديد) ... وبـلـدـ اـئـاثــ: لـينـ سـهـلـ ، ومن ثم ظهر قولـمـ مـكـانـ اـئـاثــ: إذا أسرعـ بـنـاتهـ وـكـثــ . وـيرـوىـ لـناـ اللـسـانـ تـخـرـيجـاـ طـرـيـقاـ حيثـ يـقـولـ : «ـوزـعـ أـبـنـ الـاعـرـابـيـ انـالـمـرـأـةـ انـمـاـ سـمـيـتـ اـئـاثــ مـنـ الـبـلـدـ اـئـاثــ ، قالـ : لـانـ الـمـرـأـةـ الـيـنـ مـنـ الـرـجـلـ ، وـسـمـيـتـ اـئـاثــ لـلـيـنـهاـ » . ومن قوله «ـزـعـمـ» يتضحـ انهـ لاـ يـنـقـعـ مـعـهـ . لـاـ تـلـومـ اـبـنـ الـاعـرـابـيـ فـيـ تـخـرـيجـهـ هـذـاـ فـيـ ذـلـكـ الزـمـانـ بدـلاـ مـنـ انـ يـقـولـ العـكـسـ ايـ انـ اـشـتـقـاتـ اـئـاثــ هـيـ التـيـ اـكـتـسـبـتـ معـنـيـ اللـيـنـ مـنـ الـمـرـأـةـ . كـانـ القـوـمـ يـخـبـطـوـنـ فـيـ كـلـ اـتـجـاهـ بـحـثـاـ عـنـ الـحـقـيقـةـ . نـمـرـحـ لـهـمـ فـيـماـ اـصـابـوـاـ فـيـهـ ، وـلـاـ لـوـمـ عـلـيـهـمـ اـنـ اـخـطاـوـاـ لـكـنـ هـذـاـ لـاـ يـمـنـعـ اـنـ فـيـمـ مـنـهـمـ بـيـنـ الـاذـكـيـاءـ الـمـعـمـعـينـ وـالـسـطـحـيـنـ الـخـرـافـيـنـ .

وانقلـتـ الانـوثـةـ إـلـىـ السـيـوـفـ ! وـفـيـ صـرـاعـهاـ معـ السـيـفـ غـلـبـتـهـ وـبـسـتـهـ معـنـيـ اللـيـنـ بدـلاـ مـنـ انـ يـكـسـبـهاـ معـنـيـ الـصـلـابةـ وـالـضـاءـ . قالـواـ اـئـاثــ مـنـ السـيـوـفـ وـالـثـنـاثــ وـالـمـثـنـاثــ وـالـمـؤـنـثــ: ماـ كـانـ مـنـ حـدـيدـ غـيرـ ذـكـرـ ! ايـ ماـ كـانـ حـدـيـدـتـهـ لـيـنـةـ .. اـئـاثــ !

الختـنىـ :

انـ اـبـدـالـ حـرـفـ الـخـاءـ بـالـهـمـزةـ قـلـيلـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ لكنـهـ مـوـجـودـ ، مـثـلـ : الـابـاشـ وـالـخـبـاشـ (ـبـالـتـشـدـيدـ) : الـكـاسـبـ ، وـالـتـاـوـدـ وـالـتـخـوـدـ (ـبـالـتـشـدـيدـ) ... وـمنـ ذـلـكـ اـيـضاـ : اـئـاثــ وـالـخـتـنىـ .

وـحسبـناـ هـذـاـ مـادـةـ لـلـتـمـيـصـ وـالـسـتـنـاجـ . فـتـأـملـ هـذـهـ المـعـانـىـ عـزـيزـنـاـ الـقـارـيـءـ وـتـعاـونـ مـعـنـاـ فـيـ اـسـتـخـلـاصـ الـحـقـائقـ الـجـلـيـةـ مـنـ هـذـاـ الـخـلـيـطـ الـغـامـضـ ، ثـمـ قـلـ لـنـاـ مـاـ عـلـاتـ الـقـبـيلـيـنـ الـعـربـيـتـيـنـ الـكـبـيرـيـتـيـنـ بـجـيـلةـ وـقـضـاعـةـ بـالـأـنـثـيـنـ وـرـبـلـتـيـ الـفـخـذـيـنـ مـنـ الـفـرسـ؟

مـنـ الـوـاضـعـ جـداـ مـنـ تـدـيرـ هـذـهـ المـعـانـىـ انـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ مـجـردـ تـحـرـيفـ مـنـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ لـذـلـكـ اـطـلـقـوـهـاـ عـلـىـ اـشـفـاعـ كـثـيرـ مـنـ الـأـشـيـاءـ - قـيـاسـاـ عـلـىـ الـثـيـتـيـنـ اـيـ السـنـنـ الـإـمـامـيـتـيـنـ - بلـ رـيـماـ اـطـلـقـوـاـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ عـلـىـ كـلـ شـفـعـ اـيـ عـلـىـ كـلـ قـرـنـيـنـ مـتـلـازـمـيـنـ مـنـ الـأـشـيـاءـ ، وـعـلـىـ كـلـ الـأـعـضـاءـ الـمـزـدـوجـةـ ، ثـمـ زـالـتـ تـلـكـ الـمـادـةـ الـلـفـوـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ قـيـاسـيـةـ فـيـمـاـ نـظـنـ وـتـخـلـفـتـ مـنـ آـثـارـهـ هـذـهـ الـاـشـقـاعـ الـتـيـ يـذـكـرـهـاـ الـمـعـجمـ ، وـمـنـهاـ قـبـيلـتـانـ كـانـ لـهـمـ شـائـهـاـ بـعـضـهـاـ مـعـ بـعـضـ مـنـ خـاصـمـ وـوـنـامـ .. غـيـرـ ذـكـرـهـاـ مـعـاـ كـانـ يـقـالـ بـكـرـ وـتـغلـبـ ، وـكـمـ لـاـ يـزـالـ يـقـالـ الـيـوـمـ فـيـ نـجـدـ وـأـنـجـاءـ بـادـيـةـ الشـامـ : شـمـرـ وـعـنـزـةـ .

«ـوقـالـ اـبـنـ سـيـدةـ : وـقـولـ الـفـرـزـدقـ :

وـكـنـاـ اـذـاـ الجـبـلـ صـمـرـ خـدـهـ
ضـرـبـنـاهـ تـحـتـ الـأـنـثـيـنـ عـلـىـ الـكـرـدـ *

قالـ يـعـنـيـ الـأـنـثـيـنـ ، لـانـ الـأـنـثـيـنـ مـؤـنـثـةـ » اللـسـانـ .

وـمـاـ نـرـاـنـاـ نـوـاقـقـ اـبـنـ سـيـدـهـ عـلـىـ تـأـوـيـلـهـ هـذـاـ لـانـ مجردـ كـوـنـ الـأـنـثـيـنـ الـوـاحـدـةـ مـؤـنـثـةـ لـاـ يـبـرـرـ تـسـمـيـةـ الـأـنـثـيـنـ اـئـاثــ ، فـالـعـيـنـ اـيـضاـ مـؤـنـثـةـ وـمـثـلـهـاـ الـيـدـ وـالـسـاقـ وـالـخـاصـرـةـ .. الخـ .. وـانـهاـ الصـوابـ مـاـ قـلـنـاهـ ، وـهـوـ انـ الـأـنـثـيـنـ سـمـيـتـ اـئـاثــ لـأـنـهـاـ اـنـثـانـ ، شـائـهـاـ شـانـ رـبـلـتـيـ الـفـخـذـيـنـ وـتـيـنـكـ الـقـبـيلـيـنـ .

فـمـنـ هـنـاـ اـطـلـقـوـاـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ عـلـىـ الـفـدـتـيـنـ الـخـاصـتـيـنـ بـالـذـكـورـةـ ، كـذـلـكـ .

وـبـشـيـءـ مـنـ التـأـمـلـ يـبـدـوـ مـنـ الـوـاضـعـ - رـيـماـ جـداـ اـيـضاـ - انـ لـفـظـةـ الـأـنـثـيـنـ اـطـلـقـتـ عـلـىـ الـقـرـنـيـنـ مـنـ بـنـيـ الـإـنـسـانـ : الـمـرـأـةـ وـالـرـجـلـ ، مـثـلـماـ نـقـولـ الـآنـ : الـزـوـجـينـ .

* الـكـرـدـ ، زـنـةـ الـطـرـدـ : أـصـلـ الـعـنـقـ .

ويُنطق بالعراقيَّة (ونَسَة) — بالكسْر . ويقولون بالموصلية مثلاً : كلوَ معاً عالوِنْس ، اي كلوَ معنا للإثنَيْس (اي للانس والابناء) . لكن معنى السرور والبهجة في (الانس) تديم عند العرب مع انه اختَس من هذه الصيغة في معاجمهم . دليل ذلك انهم كانوا في الجاهليَّة يسمون يوم الخميس (مؤانسا) — « لاتهم كلوَ يميِّلُونَ فِيهِ إلَى الْمَلَاد » — اللسان .

وإذا كانت (الاثنَيْ) هي مصدر (الانس) بمعنى الالفة والتمازج الروحي أول الامر فقد عُمِّ المعنى فشمل الجنس الخشن ايضاً باعتبار كل من القربيين (انساً) لآخر ، فليست المرأة اقل (استثناساً) برجلها منه بها ، فمن هنا أصبحت صيغة (الانسان) تشمل الاثنَيْن ، حتى لقد ندر عندهم تأثيرها على (انسنة) .

ولعل هذا مع ما تقدم من ملخصات وتأثيلات يؤيد للقارئ تخطيَّتنا للشاعر — الا اذا كان مازحاً — في قوله : وما سمي الانسان الا لنسبيه .

ومن الانسان طبعاً نشأت (الإنسانية) بمعانٍها الجليلة . لكنهم كثيراً ما يصنفونها بالمعنبة ، مع الاسف ، ولعلها أصدق او صافتها ، ولا سيما انها هي المعنبة لنفسها .

والانسان نطقه بعضهم (اليسان) ليقول قائلهم : ما رأيت ثم ايساناً . وهم يجمعونه على ايسين . لغة طيء .

ونطق نون الانسان ياءاً عند بعضهم يذكرنا بنطق سين الناس تاءاً عند آخرين ، في قول شاعرهم :

يا قبح الله بنى السملة
عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا بأخيار ولا اكبات !

لكن هؤلاء لا ينطقون سين تاءاً في (الناس) وحدها بل في كل الانفاظ الماثلة كما نرى في الاكياس ، اي الاكياس (من الكياسة) .

* المعجم العربي يُعرف الانس بأنه خلاف الوحشة ، ويعرف الوحشة بأنها خلاف الانس !

وقد كانت الكلمتان متراجفتين أول امرها بدليل اطلاقهم (الخنثى) على (الانثى) . ومن ذلك ايضاً قولهم خنثه تخنيثاً بمعنى انشه تائثنا ، ثم استعمالهم التخنث بمعنى التثني والتكسر من الرجل والنساء ، وهو شبيه بقولهم تائث تائثاً : صار اثنى ، او لأن وتساهل . ثم يبلغ في معنى اللين والتساهل حتى انتهى الى الضعف حيث قالوا تخنث المرء (رجلاً او امراً) : سقط من الضعف .

اما الخنث (كالخلاف) فهو بالعراقيَّة : منسل المرأة او غيرها من اناث الحيوان .

ويقول اللسان : « واصل الاختنث : التكسر والقتنى ، ومنه سميت المرأة خنثى ». هنا ايضاً يكون الصريح المعكس ، اي ان التثني والتكسر هما اللذان نجمَا من الاثنَيْ والخنثى .

ثم اطلقت (الخنثى) على الانسان الذي له اعضاء الرجل والمرأة معاً .

الانسان :

ولا نرى كبير مخزرة العرب في استعارة مجازى التثني واللين والسهولة والخصب من الاثنَي للكثير في الاشياء ، فان هذه الخلل يحسها ويستطيعها الرجل من جميع الاقوام ، وانما يستأهل العرب التقدير لعمق احساسهم بالمعنى (الإنساني) الكبير في العلاقة بين (الاثنَيْن) — الرجل والمرأة — واستيلادهم منها معانى الانس والابناء والناس .. والانسانية !

فالاثنَي احسن العرب في وجده أنه انها لم تكون له مادة استمتاع منسلٍ وحسب ، بل هي كذلك سكن والف ونصف متمم . فمن اجل هذا لما نشأت لهم من (الاثنَيْ) صيغة (الانس) خلعوا عليها معنى الطمأنينة والركون والانجذاب وكل المعانى المضادة للوحشة * .

وظل المعنى يتتطور حتى صار يدل على البهجة والانشراح ، نجد ذلك باتيا في الدارجات .

وقالوا كذلك ان «النواس (الصراف) : الناس يكون من الانس والجن ، جمع انس ، اصله انس ، جميع عزيز أدخل عليه الـ » — اللسان

اما الجماع الاتثنوي فله عديد من الصيغ : النسوة
 بالفتح او الكسر) والنساء والنسوان (بالضم او
 الكسر) والنسون (كالمثون) والنسين (كالفالفسلين) ،
 وكلها جموع (المرأة) التي لا جمع لها من لفظها .

من معنى (الاتس) بالضم ، أيضا سميت النار :
ملائكة والملائكة والملائكة . اللسان : « ويسمونها
السكن (بالتحريك) لأن الإنسان إذا أتسها (أي
أبصرها) ليلاً اتس بها وسكن إليها وزالت عنه الوحشة
وأن كان بالارض الفقر ». وهذا عين الصواب ، لأن
الابصار قد جاء أولاً من هذا السكن — الذي هو أيضاً
من أسماء النار — وزوال الوحشة عند رؤية النار ليلاً
لأنها كانت للمسافر والمتقطع بشيراً بالوصول إلى
ناس من البشر يؤتى بهم ويلتجأ إليهم ويوجد لديهم
على الأغلب زاد وقرى ، ولا سيما أن أجاويد العرب
كانوا يوقدون النار في الليل على رؤوس الأكالام والشارف
لاستجلاب الضيوف من جائع وتأله وملهوف .

و (السكن) بالتحريك : « ما يسكن اليه وفيه
ويستannis به ، والرحمة ، والبركة » . فإذا هم اطلعوا
هذا (السكن) المبارك على النار كما تقدم ملا عجب
أن يطلعوا عليها كذلك (المتوسّة) بمعنى المأمور بها
و (الاتيّة) وهي من صيغ المفعولية ايضاً . ثم هم
لكرة ذكرهم ايها وحدهم لها وعرفائهم لفضلها استطعوا
عنها أداة التعريف اكثاراً واحتفالاً مدعوها (متوسّة) .

وماروا يقولون (آنسٰت نارا) بمعنى أنت
بها ، ثم بمعنى أحبست بوجودها وتوّقعت رؤيتها ،
مثلاً تقول آنسٰتنيه مخايل النيل والشرف أى توسمتها
فيه أو شتمتها منه . ثم انتقل معنى (آنسٰت نارا) الى
الرؤبة .

من معنى التوقع الذي نختمه ظهر قولهم
«استائس : استعلم» (أى بحث عن المتوقع من
الإمبر أولاً ، ثم يمعنى سال لعلم ما لا يعلم) .

وقياسا على معنى الابصار تلوا « آنس صوتا : سمعه » .

وقلوا « جارية آنسة : طيبة الحديث » .
المتأخرن صاروا يطلقون (الآنسة) على العذراء ،
او بعبارة أدق على الانثى البشرية التي لم تتزوج . ولم
يلقتوها الى ان هذا المعنى اذا قورن بالمعنى القديم
صار المفهوم منها ان الانثى اذا تزوجت خبٍث حديثها .
ان النكات تذكر عن ثرثرة الزوجات لا عن خبٍث حديثهن .

اما الليث فيقول : « جارية ائنة : اذا كانت طيبة النفس (كالنفع) تحب قربك وحيبك » — وهذا يجعل نتيجة المقارنة اوجع ، لأن هذا الاستعمال للحبيث يحرم المتزوجة من هذه الشمائل الحلوة . ومن رأى ان على الازواج ان يتقدموا احتجاجا على ذلك ، ان كانوا غير موافقين عليه .

ومن (الانسة) نشأت صيفة (العائس).
واختصت بالمرأة التي تبقى زماماً غير متزوجة ، بعد
البلوغ . (وقد تطلق على الرجل) ، ومن هناك .
صيفي الفعل عندها أهلها تعنيساً : حبسوها عن
الزواج حتى جاوزت فتاء السن ولما تعجز .

والكلمة معانٍ أخرى نكتفي منها بهذا الذي ذكرنا
لنفس تحيز التطور ومجاناته النصفة بين لفظتين
مشتقتين من مادة واحدة فيحابي هذه (الإنسنة) ويحبور
على الأخرى (العنانس) .

و (الانس) بالكسر : « البشر ، غير الملائكة والجن » و يمكننا أن نضيف : وغير الشياطين . بالعرانية يتولون : « لا انس ولا جنس » تعبيرا عن خلو المكان من كل ذى حياة . اى انهم ينطقون الجن (جنسى) . اتساعا .

و (الانس) بالتحريك ، يعني : الجماعة الكثيرة .
ومن الغريب أن الخنث (كالبشرس) أيضا تعنى شيئا
قريبا من ذلك أي : الجماعة المترفة ، مما يؤيد الصلة
بين مادة الانثى والخنثى والانس (أي الناس) .

وَجْهُ الْإِنْسَانِ : أَنَّاسٌ (زَنْةَ أَمَالٍ) . وَلَا بُدُّ أَنْ
هَذَا أَوْ شَبِيهَهُ تَدْكَنَ أَئْلُ (النَّاسُ) . وَيَقُولُ الْمُعْجَمُونَ
أَنَّ (النَّاسُ) : جَمِيعُ (الْإِنْسَانِ) ، وَلَسْنَا مُتَكَبِّرِينَ مِنْ
صَحَّةِ ذَلِكَ لَآنَ لَدِنَا بِمَعْنَى جَمِيعَ الْبَشَرِ : (الْإِنْسَانُ)
أَيْضًا . وَهِيَ تَشَبَّهُ صَيْفَةَ الْأَنْثَى (كَالْجَبَالِيِّ) الَّتِي مَرَّتْ
بِنَا قَبْلَ ، حِمْمَ الْأَنْثَى .